

رمزية ودلالة الماء لدى الانسان النيوليتي من خلال رسومات القوارب والحيوانات البحرية " محطات الفن الصخري بالجزائر نموذجاً"

The symbolism and significance of water in Neolithic humans through the drawings of boats and marine animals "Algeria's rock art stations as a model"

بن صغير نوال¹ *

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية المركز الجامعي نور البشير البيض الجزائر

تاريخ الاستلام: 2022/10/21، تاريخ القبول: 2024/10/28، تاريخ النشر: 2024/10/30

ملخص:

يعتبر الماء أهم عنصر لاستمرار حياة الكائنات الحية بعد الهواء، حيث شكلت المياه في حياة الانسان عاملاً مهماً في ظهور المجتمعات والحضارات الإنسانية الأولى، ومن أهم الفترات التاريخية التي عملت على استقرار وظهوره أولى التجمعات البشرية نجد المرحلة النيوليتية لفترة ما قبل التاريخ، حيث عرفت هاته الفترة الفن الصخري المرسوم والمنقوش انجزه الانسان على واجهات الصخور والملاجئ، فهي من أهم المصادر التي أظهرت لنا جانب من حياته اليومية، منها الدينية والعقائدية والتي استعانت بها من أجل الوصول لغاية عقائدية معينة، كما أنها كانت تعكس نظرتهم إلى الكون والطبيعية ولما يتميز به عنصر الماء من قدسيته عظيمة، فأطلقوا العنان لخيالهم باستعمال الطقوس ونسج الأساطير واتخاذ رموز ودلالة لها علاقة بالماء من اشكال، لقوارب، حيوانات ومعبدات وآلهة مخصصة له و توجي برحلة الأرواح إلى العالم الآخر، أين سمحت لنا بطرق أبواب عالم الماء والبحر وأسراره لدى الشعوب القديمة مفعم بثروة الاستهلاك و الإنتاج و التنقل الى عالم التعبد وطقوس السحر، فجاءت هاته الورقة البحثية بهدف إزاحة بعض الغموض الذي يلف طبيعة الحياة في الفترة النيوليتية، وربط العلاقة بين الماء والحياة اليومية والدينية، مع إبراز دورها في الاستقرار النفسي واستمرار حياة الإنسان من خلالها. لذا سنحاول الإجابة عن الإشكالية التالية: ما هو مدلول ورمزية الماء لدى الشعوب النيوليتية من خلال المشاهد المجسدة على محطات الفن الصخري؟

الكلمات المفتاحية: ماء؛ انسان نيوليتي؛ فن صخري؛ دلالة (رمزية)؛ معبودات.

Abstract:

Water is the most important element for the continuation of living organisms after air, as water formed in human life has been an important factor in the emergence of the first human societies and civilisations. One of the most important historical periods that stabilized and reappeared the first human gatherings is the Neolithic stage of the prehistoric period. It is one of the most important sources that showed us part of his daily life, including religious and

*أحمد منصور

ideological ones, which she used in order to reach a specific ideological goal. It also reflected his view of the universe and nature, and the greatness of the water element, which is characterized by its sanctity. Where did it allow us to knock on the doors and secrets of the water and the sea world of the ancient peoples, full of the wealth of consumption and production, and the transition to the world of worship and magic rituals, So this research paper came with the aim of removing some of the ambiguities that surrounded the nature of life in the Neolithic period, and linking the relationship between water and daily and religious

Keywords: Water; Neolithic man; rock art; symbolic; deities.

مقدمة :

يعتبر الماء اهم عنصر لاستمرار حياة الكائنات الحية بعد الهواء، حيث شكلت المياه في حياة الانسان عاملا مهما في ظهور المجتمعات والحضارات الإنسانية الأولى، ومورد طبيعي هام وأساسي أقام عليها الانسان القديم حياته اليومية، حيث سمح للمجتمعات بختيار موقع دون غيره ومن ثم الاستقرار به، ومن اهم الفترات التاريخية التي عملت على استقرار وظهوره أولى التجمعات البشرية نجد المرحلة النيوليتية (العصر الحجري الحديث Néolithique) لفترة ما قبل التاريخ، حيث عرفت هاته الفترة الفن الصخري المرسوم والمنقوش انجزه الانسان على واجهات الصخور والملاجئ، فهي من اهم المصادر التي أظهرت لنا جانب من حياته اليومية، الاجتماعية، الاقتصادية، الدينية والعقائدية والتي استعانت بها من أجل الوصول لغاية عقائدية معينة، كما أنها كانت تعكس نظرتة إلى الكون والطبيعية ولما يتميز به عنصر الماء من قدسيته عظمة، والخوض في أمواجه يعتبر مغامرة غير مضمونة العواقب، سواء كان ذلك بحرا، نهر، او بحيرة. فأطلقوا العنان لخيالهم باستعمال الطقوس ونسج الأساطير واتخاذ رموز ودلاله لها علاقة بالماء من اشكال، رموز، وقوارب، وحيوانات ومعبودات وآلهة مخصصة له، لكل منها دور ومهمة معينة، أين تظهر مدى قدرته ومعجزاته. اعتبرها قوة غامضة تأثر بها وحين عجز عن تفسير سر قوتها خصيا بالعبادة والقداسة.

وهذا ما سنتحدث عنه من خلال هذه الورقة البحثية بهدف إزاحة بعض الغموض الذي يلف طبيعة الحياة في الفترة النيوليتية، وربط العلاقة بين الماء والحياة اليومية والدينية من معتقدات وطقوس وعادات وتعوديات سحرية، مع إبراز دور هذه المعتقدات والطقوس في الاستقرار النفسي واستمرار حياة الإنسان من خلالها. لذا سنحاول الإجابة عن الإشكالية التالية:

ما هو مدلول ورمزية الماء لدى الشعوب النيوليتية من خلال نظرة الإنسان لها؟ وما مدى تأثيره في ظهور وتطور الحياة اليومية والدينية لدى شعوب البحر الأبيض المتوسط؟ فسوف نتطرق إلى عنصر الماء في فترة ما قبل التاريخ واستغلاله في الجانب الحياتي والعقائدي الديني والطقسي والتعبّد من خلال المقدس ومقدساته.

وكيف ظهرت البحار والأنهار والبحيرات كمحطة استقرار وإنتاج وإبداع فني للمجتمعات الأولى؟ هل وجدت أودية تسمح بسري القوارب بالصحراء خلال تلك الفترة؟ وهل هاته القوارب وسيلة نقل ام وسيلة صيد ام رمز لمعتقد ديني؟ والحيوانات البحرية كثروة استهلاك وإنتاج في حياته اليومية ام وسيلة لإبداع فني ام ديني عقائدي فرسما؟ وهذا بانتهاج منهج وصفي تحليلي بأخذ نماذج من الصحراء الوسطى والاطلس الصحراوي. وفي الأخير نجد انه منذ أقدم

العصور القديمة كان للماء أهمية الخاصة في إنشاء مدن ومحطات واستقرار لتجمعات سكنية، حيث شكل لدى المجتمعات أحاسيس ومخاوف متناقضة من فترة إلى أخرى وارتبطت بحياتهم العامة وبيئتهم التي كانوا يعيشون فيها، والفترة النيوليتية بالجزائر عرفت استقرار للإنسان عبر ضفاف الأنهار و الوديان، ومارس مختلف نشاطاته اليومية من زراعة، رعي، صناعة الفخار، و الفن الصخري الذي عبر من خلاله على كل أحاسيسه و أفكاره فتعبّر أهم مصدر للإجابة عن اشكالتنا ان هاته القوارب و كانت وسيلة نقل و صيد ، اما الحيوانات البحرية استغلت و استهلكت من طرف الانسان تم استغلالها في الجانب الإنتاجي و الاقتصادي فالتجاري وبعدها استغلال هاته الكائنات والحيوانات البحرية في الجانب العقائدي والدين، وفي طقوس التعبد كحيوان الدلفين وفرس البحر والسّمك كرمز للماء، والأصداف والمحار والحلزونات والمغرة في طقوس سحرية وتعويدات وحامية لحاملها من الشر والخطر، وقوارب وأسماك توجي برحلة الأرواح إلى العالم الآخر، أين سمحت لنا بطرق أبواب عالم الماء والبحر وأسراره لدى الشعوب القديمة مفعم بثروة الاستهلاك و الإنتاج و التنقل الى عالم التعبد وطقوس السحر، ومما لاشك فيه أننا لازلنا نعرف القليل عما تخفيه هاته الرموز و الدلالات من أسرار حياتية يومية الى عقائدية روحية وسحرية.

1-الدراسة المناخية والجيومرفولوجية:

1-1 الماء:

يعتبر الماء أهم عنصر لاستمرار حياة الكائنات الحية بعد الهواء، فلقد شكل عنصر الماء في مسيرة الانسان عاملا مهما في ظهور واستقرار الحضارات الأولى، وتقدمها ونمط معيشتها ونوعية الإنتاج والنشاط الذي يمارسه وهذا بارتباطه بمدى وفرة المياه وموارده، غيابه ونذرتة، لما لها من حالة استقطاب للأفراد وللجماعات مهدت لإقامة المجتمع وإرساء أسسه وإيجاد اللبنة الأولى لقيامه من خلال إقامة القرى والمدن بالقرب من الموارد المائية الطبيعية كالأودية، الأنهار، البحيرات. لكن الماء أصبح له دور أوسع من ضروريات الحياة اليومية الى الجانب العقائدي الطقوسي/ العصور الجليدية:

العصور الجيولوجية (الزمن الكمبري أو زمن بداية الحياة): يعود تاريخه إلى 3200-540 م. س (الجوهري، 1968 م، صفحة 10)، كانت الأرض تتعرض أثناء هذه الحقبة لبراكين، حيث بدأت الحياة كنقطة هلامية ميكروسكوبية في البحار العذبة والدافئة وكانت تنتشر موجات البحر واندمجت معا مكونة كائنات حية دقيقة مختلفة الأشكال كالرخويات، الأصداف ومحارات حول جسمها، واستغرق هذا التطور الأولي لنشأة الحياة على الأرض نحو 3000 م. س. (الجوهري، المرجع السابق، صفحة 12) وقسم العلماء هذه الفترة إلى أربع أزمنة جيولوجية: الزمن الجيولوجي الأول (حقبة الباليوزي، الحياة القديمة):

ما يميزه اعتدال جوه، وكانت البحار داخل القارات متسعة وضحلة (الماجد، 1997، صفحة 20) ظهور بعض الحيوانات كعقرب البحر، قواقع، طحال مائية عند أمواج البحر، زمن ظهور الأسماك. (غزعل، 1997، صفحة 16) - الزمن الجيولوجي الثاني (حقبة الميزوزوي-الحياة الوسطى): ما يميزه اتساع البحار الداخلية تدريجيا وسببت طوفانا هائلا (غزعل، 1997، صفحة 23). وانتشار البحيرات المؤقتة والمستنقعات الملحية في كل مكان، ظهور العديد من الحيوانات البحرية منها السيجاريات، المرجان، سمكة البيكونودونت، فرس البحر، الحيتان المعاصرة

- الزمن الجيولوجي الثالث (حقبة السينوزوي-الحياة الحديثة أو زمن الحياة الثالث): ما يميزه تكوين صخور وحجارة رملية ترسبت جميعها في بيئة بحرية، شهد هذا العصر ميلاد الصحراء الكبرى وعصر الميوسين (Miocène) والبليوسين (Pliocène)، وكانت جزء لا يتجزأ من البحر الأبيض المتوسط الذي عرف قديما ببحر تيس القديم (بشي، 1008، صفحة 16).

- الزمن الجيولوجي الرابع (زمن الإنسان): ما يميزه فترتين زمنتين هما البلايستوسان والهولوسان، ما يميزه هو التغيرات التي طرأت على مستوى المحيطات (معدلات الحرارة ومنسوب البحار)، ففي شمال إفريقيا سادت فترات مطيرة ورطبة، بينما سادت في أوروبا فترات جليدية مما أدى إلى ارتفاع مستويات البحار (ابن الشيخ، 2013، الصفحات 57-58)، أما شمال إفريقيا عرفا انخفاض في مستوى البحر نظرا لظهور المدرجات البحرية والرؤوس الساحلية (حليبي، 1968، صفحة 43).

2-1 المناخ:

قسم الباحثين الزمن الرابع إلى فترتين زمنتين غير متساويتين الأولى تدعى الباليستوس والثانية تدعى الهلوسان Holocene * Pleistocene حيث استقرت مجموعاته البشرية على ضفاف الأنهار والادوية والبحيرات ومارست الصيد البري والمائي، ومن خلال بقايا الأشجار يمكن أن نستنتج أن المناخ فعلا كان رطبا جدا ويسمح بوجود حيوانات مائية ووسائل النقل المائي المتنوعة (وايل و خاتمي، 2020، صفحة 42) اين عرفت منطقة شمال إفريقيا تواجد بشري كبير، ويبدو أن الرطوبة أصبحت كبيرة بين 10500 ق م و8000 ق م حيث ظهرت بحيرات جديدة وحسب تعبير الباحث (بن بوزيد، بدون سنة نشر، صفحة 20) وباركورنونا وهذه المعلومات حصل عليها العلماء من خلال دراسة ترسبات الأنهار والبحيرات التي أعطت أدلة للباحثين عن التغيرات المناخية في الصحراء، ويبدو أن مرحلة الجفاف قد انتهت في حدود 10 آلاف سنة مضت وهذا التاريخ يمثل بداية الهلوسان. أما مليكة حشيد فتقول إن الرطوبة عادت إلى الصحراء بين 13000 و12000 سنة مضت (Hachid، 1998، صفحة 168) وهي تختلف حسب المناطق وقد أكدت أن الصحراء كادت تفرغ من سكانها بسبب الجفاف الذي استمر لعدة آلاف من السنين، ربما هذا ما يفسر فقدان بقايا الإنسان والحيوان في الطبقة الأثرية قبل مستوى العصر الحجري الحديث néolithique إن من الدلائل على وجود مستح الوضع المناخي المعتدل والأمطار المتساقطة تنوعت وترسبات الادوية قديمة تعكس وجود قُتة رطبة، وتعتبر الادوية من أفضل الأماكن. ترددا للحيوانات المختلفة وسري القوار، الصحراء هي منطقة جغرافية شبه خالية من النبات، يقل فيها تساقط الامطار، وترتفع فيها درجة الحرارة في النهار بشكل كبير وتنخفض في الليل. لم يتمكن العلماء من تأكيد ذلك فربما قد تجيب الأبحاث الأثرية في السنوات المقبلة على مثل هذا التساؤلات، ومهما يكن من أمر فإن الأمطار عادت إلى الهطول وعاد معها السكان إلى الصحراء، حيث أصبح المناخ مثاليا في حوالي 8000 ق م، ثم تعرضت الصحراء لخطر الجفاف مرة أخرى لكن هذا الجفاف لم يستمر لأكثر من ألف سنة وهو يختلف من منطقة أخرى وعودة الأمطار هذه المرة كانت في حوالي 4500 ق م حيث استمر هذا جفاف حوالي ألف سنة من 5500 إلى 4500 ق م، وتستمر التذبذبات المناخية في الصحراء حيث في حوالي 1520 ق م تحدث مرحلة جفاف أخرى تدوم ألف سنة وعموما فإن هناك اختلاف بين الباحثين حول المراحل الرطبة والجافة في الصحراء حيث تعطي مليكة حشيد نتائج مختلفة فيما يخص بداية الهلوسان وكذا تاريخ المرحلة الرطبة للعصر الحجري الحديث و المرحلة الجافة بعده (بن بوزيد، المرجع السابق، الصفحات 21-22).

3-1 العصر الحجري الحديث néolithique (الفترة النيوليتية):

النيوليتي أو العصر الحجري الحديث مشتق من الكلمة الإغريقية nios وتعني الجديد و lithos وتعني الحجارة تصبح الكلمة عصر الحجارة الجديد ظهر منذ ما يقرب من 9000 سنة قبل الميلاد، وهو في الصحراء أبكر بعدة آلاف من السنين عن شمال إفريقيا ويتميز بالاقتصاد الانتاجي: الاستئناس، الزراعة، الفخار، الاستقرار البشري. وتحدد بعض الدراسات ظهور العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى ب 7000 ق.م وفي أوروبا حوالي 5000 ق.م، وفي الصحراء 6000 ق.م (سحنوني، 1990، صفحة 127) وقد بدأ العصر الحجري الحديث في بلاد المغرب في الألف الخامسة قبل الميلاد، ولكنه في الصحراء أقدم بكثير لأن الفخار في الصحراء قد يكون معاصر لفترة ظهوره في الشرق الأدنى ويمكن أن يكون أقدم فالتواريخ الأولى تصل الى الألف الثامنة قبل الميلاد. الفن الصخري فهو أقدم بكثير قد يصل الى أواخر الباليستوسان مما يجعل بداية العصر الحجري الحديث الى الألف الثامنة قبل الميلاد (غانم، 2003، الصفحات 109-148) وينقسم العصر الحجري الحديث (النيوليتي) في شمال إفريقيا الى:

- العصر الحجري الحديث الساحلي.

- العصر الحجري الحديث ذو التقاليد القفصية.

- العصر الحجري الحديث النيوليتي (ذو التقاليد الصحراوية السودانية)

يعتبر هذا العصر البداية الحقيقية للتطور في حياة الانسان

4-1 الموقع الجغرافي للصحراء الوسطى (وابل ا، المرجع السابق، صفحة 10):

أكبر الصحاري في العالم هي الصحراء الكبرى الإفريقية التي تمتد من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر وتتجه شمالا لتلامس البحر المتوسط في الشواطئ الليبية، غير أنها تنحصر في الغرب بسبب وجود جبال الأطلس في الجزائر والمغرب، الذي يحجز تأثيرات الصحراء في الشمال، كما تمثل حاجز طبيعيا أمام التأثيرات المناخية والحضارية بين بالد المغرب والصحراء وتنقسم هذه المساحة الشاسعة إلى عدة أجزاء تبعا للجغرافيا والتضاريس، الصحراء الوسطى فالمتعارف عليه من الناحية الجغرافية أنها المناطق الواقعة في الجنوب الجزائري ونقصد بها مناطق الطاسيلي والهقار. تشكل الصحراء الوسطى امتداد لمنطقة شمال إفريقيا وهي شاسعة ومتنوعة التضاريس، ففي عصور قبل التاريخ خاصة في الفترات الرطبة كانت الغابات الكثيفة تغطي جبال الأطلس، مما جعل الانتقال البشري والحضاري. والمتمثلة في منطقتي الاهقار بولاية تمنراست فهي قديمة التكوين تعود الى حوالي 6000 ألف ومليون سنة، اما المنطقة الثانية والمتمثلة في موقع الطاسيلي ناجر بولاية البزي وهي عبارة عن هضبة من الانهار في سلسلة جبلية ترتفع بأكثر من 2000م عن سطح البحر (الحميد و كحول، 2015، صفحة 201).

تقع التاسيلي أزجر في الجنوب الشرقي الجزائري ضمن الصحراء الوسطى تتميز بكتلها الصخرية من الحجر الرملي، فهي عبارة عن هضاب صخرية جرداء وجبال تتقاطع بها أودية كثيرة تشكل البطون الجافة لطرق مائية قديمة تستضيف بعض الكهوف الواسعة المنفتحة بفعل ظاهرة الحت (وابل ا، المرجع السابق، صفحة 11)

التضاريس: الصحراء الوسطى تتكون أساسا من التضاريس التالية :

- كتلة جبلية كبيرة هي كتلة الهوقار التي تصل مساحتها إلى 350.000 كلم²، ارتفاع متوسط يقدر ب 1000م، كقمم تاهات

2918م

-هضبة من الحجر الرملي بالطاسيلي.

-التضاريس المعزولة: هذه الجزر من الصخور متكونة من الكارتيك والصخور الغرينيتية داخل درع التوارق، من بينها أدرار أحنات أو أدرار تازات.

-مجاري أودية كبيرة وعريضة بشكل يفوق حجم الوادي مما يدل على درجة التمثط في الأزمنة القديمة، ومن الممكن أن تعود الأمطار بنفس الوتيرة إذا حدث تغير بيئي، وهذه المجاري الكبيرة لها مسارات غير منتظمة، حيث أن منطقة

5.1 الموقع الجغرافي للأطلس الصحراوي:

هو الآخر لا يقل أهمية عن الموقعين السابقين الذكر فيحتوي على مواقع تاريخية واثريّة وحضارية منذ آلاف السنين، حيث يتشكل من مجموعة من السلاسل الجبلية متسلسلة، اتجاهاها العام من الشمال شرق وجنوب-غرب، بحيث تشكل هذه السلسلة حاجزا طبوغرافيا ومناخي بين الشمال الجزائري والجنوب الصحراوي. تقدر مساحتها بـ 63.930 كلم² وفقا لمخطط تعين الحدود الملحق بالمرسوم كما يأتي.

- الشرق: شط الحضنة بما فيها مدينة بوسعادة.

- الغرب: الحدود الجزائرية – المغربية.

- الشمال: سفح جبال الأطلس الصحراوي حسب الخط العابر لكل من مشرية وقلته سيدي سعد وقصر الشلالة وقلته سطل وحد سحاري وسيدي عيسى.

- الجنوب: سفح جبال الصحراوي حسب الخط العابر لكل من زريق ولبيض سيدي الشيخ وبريزنة وتاجرونة والاعواط ووادي جدي وقصر مسعد والحيوان وسيدي خالد وأولاد جلال.

يتميز بإطار جغرافي مشكل من تضاريس متكاملة، حيث يتشكل من سلاسل جبلية متتابعة ذات اتجاه جنوب-غرب-شمال-شرق تنحصر بين الهضاب والتشكيلات الأولى للعرق الشرقي والعرق الغربي، جبال لقصور جبال العمور جبال أولاد نايل (Despoir J et Raynal R، 2003، صفحة 133) وسلسلة الأطلس الصحراوي فهي ناتج عن نشاط تكتوني كثيف خلال الزمن الجيولوجي الثالث، فهي مكونة عموما من كتلة جيرية يعود أصلها إلى العهد الجوراسي (بحوالي 203 إلى 135 مليون سنة). كما عرفت تغيرات مناخية جافة ورطب (Despoir J، 1964، صفحة 57)

2- الفن الصخري بالصحراء الوسطى والأطلس الصحراوي ودلالته:

الفن الصخري هو كل الأشكال والرسومات التي نقشها أو رسمها إنسان ما قبل التاريخ على الصفائح (واجهات الصخرية) والتي تعكس أشكال عديدة ورموز متنوعة منقوشة بتقنيات مختلفة وأساليب خاصة (عبدصادوق، 1990، صفحة 50) تتواجد الرسومات الصخرية المنقوشة في مختلف الجهات من الصحراء الوسطى، الأطلس الصحراوي وبالمناطق شبه الصحراوية. ويعتبر الفن الصخري من أهم المصادر التي أظهرت جانب من الحياة اليومية للإنسان البدائي (بن بوزيد، المرجع السابق، صفحة 07)، منها ذات الصلة بالماء، البحر كالحلزونيات بالبيض، القوار بمنطقة التاسيلي ناجر والهقار، فاعتبرت الأحياء البحرية أن القوارب كوسيلة صيد الأسماك ووسيلة عبور المسطحات المائية للوصول إلى العالم الآخر. ومشاهد صور أخرى تعبر عن البيئة الطاسيلية تمثل راقصين جبارين ويضم المشهد 20 شخص يضعون أقنعة وهم ينظرون إلى السماء مما يدل على طقوس استدراج المطر واستعطاف الآلهة من أجل خصوبة الطبيعة واخضرار الأرض. وفي المرحلة الأخيرة تظهر بعض المشاهد التي تدل على تغير المناخ وانتشار الجفاف وقد يمثلها بقايا الرؤوس المستديرة أو شعوب مرحلة البقريات، متمثلة في مشاهد الهجرة والصراعات حول مناطق الرعي والمياه

2-2 تاريخ الأبحاث الفن الصخري بالصحراء الوسطى والاطلس الصحراوي:

الاكتشافات الأولى الرسوم الصخرية الى سنة 1847م، بمنطقة التيوت، وكان اول مكتشفها هو السيد ج. الشامبيري G.Champert ، بقيادة الجنرال كافينياك كما يعود الفضل فيها أوّال إلى النقيب كورتي cortier capitaine الذي كشف رسوم وادي إيسون مالن عام 1909 م وبين سنوات 1920-1930 أصبح الفن الصخري موضوعا للبحث من طرف مجموعة من الباحثين اهمهم ج ب م فلامند، g.p.m.flamand حول الاطلس الصحراوي، الباحث تيودور مونو بدراسة منطقة اهناث، وفي سنة 1935 م قام الباحث ريقاس، مورييس بدراسة محطات وادي الجرات هنري لوت، وجبرين الطارقي ، روبرت بيري ، جينات اوماسيب، ميشال توفرو برفقة نجيب فرحات في منطقة تادررات الجنوبية، مليكة حاشيد اين قدمت دراسات عن الأطلس الصحراوي ونشرت أعمالها سنة 1983 ، وقدمت دراسات هامة عن الطاسيلي في سنوات 1998 و 2000 ، وقد اهتم الباحث حاشي سليمان بالجانب الأنثروبولوجي، أما سليم شاكرك فقد اهتم بالفن الصخري لمرحلة الحصان والعربة والنقوش الليبية البربرية خصوصا ومن الباحثين الجزائريين نذكر أيضا نجيب فرحات الذي نشر أبحاث بين سنوات 1996 و 1997م عن الفن الصخري وعن مقبرة منخور Mankhor ، وكذلك الباحثة يسمينة شايد سعودي وغيره (بن بوزيد، المرجع السابق، الصفحات 24-26)

2-3 دلالة (رمزية) الفن الصخري: متعددة ومختلفة منها الإنسانية، الحيوانية، والأدوات والرموز.

2-3-1 الإنسانية (انسان نيوليتي):

تدل مشاهد الرسوم الصخرية على وجود أجناس مختلفة في منطقة الصحراء الوسطى كل جنس عبر عن نفسه بأسلوب فني، ويمكن ملاحظة الملامح القوقازية البيضاء في العديد من المشاهد، كما يمكن ملاحظة الطابع الزنجي أيضا تتواجد بها الرسومات الصخرية المنقوشة في مختلف الجهات من الصحراء الوسطى والأطلس الصحراوي، فهي تعكس المحيط البيئي للإنسان القديم وجوانب من حياته الرمزية ومخيلته، فالعديد من الرسومات تمثل حيوانات كثيرة أغلها انقرضت منذ أمد بعيد، كما نجد أيضا أشكالاً ورموزاً لازالت لم تفك معانيها إلى حد الآن (بن بوزيد، المرجع السابق، صفحة 27).

2-3-2 الحيوانية:

كانت للحيوانات أدوار بارزة في العقائد الدينية لدى سكان بالذ المغرب القديم، فهناك من هذه الحيوانات البيت نالت القدسية وتعتبر من أقدم الرموز الخاصة بالمعبودات، فيعتقد أن هناك قدرة غريبة تقف أمام ملسه، حيث تعاقبت المعبودات بتغطية جسم الحيوانات البحرية باعتبارها رمزا مقدسا حيث جند صورة حيوان الدلفين، فرس النهر، الأسماك.

-رمز السمكة: كانت للسمكة قيمة سحرية دينية عند مختلف الشعوب القديمة. ويدل رمز السمكة على الماء أو المطر أو أحد رموز الخصوبة. والملاحظ أنها مثل باقي الكائنات البحرية أصبحت وسيلة عبور الأرواح نحو شاطئ السعداء المحظوظين (عبد المؤمن، 2011-2012، صفحة 27). ولكن سؤال يطرح نفسه هل هي فعلا رمز لمعتقد ديني أو فعلا اصطادها الإنسان (وابل ا، 2019، صفحة 17). كما تم العثور على بقايا سمكية متحجرة.

3.32 الأدوات:

-القوارب: هي وسيلة عبور المسطحات المائية للوصول إلى العالم الآخر. (Fantar (M.H)، 1970، صفحة 131) أي يرتبط القارب برمزية العبور، لذلك تم وضع العديد من المراكب داخل المدافن وفي حالات أخرى مرسوم على جدرانها، أي تسهيل

عبور الموتى، وفي اعتقادهم أن القارب مثل الحيوانات البحرية يجتازون به المسطحات المائية من انهار ومحيطات لبلوغ العالم الآخر (عبد المؤمن، المرجع السابق، المرجع السابق، صفحة 27)
-صليب: منظر النساء الاربع عاريات وهن يؤدين طقس استئزال المطر(الاستسقاء) على شكل رقصة دائرية ذات طابع سحري (عبد المؤمن، المرجع السابق، المرجع السابق، صفحة 105)
- أدوات الصيد: كخطاف وصنارة.

3- نماذج من الصحراء الوسطى والاطلس الصحراوي:

و المتمثلة في منطقتي الاهقار بولاية تمنراست فهي قديمة التكوين تعود الى حوالي 6000 الف ومليون سنة تحوي مجموعة هامة من النقوش الصخرية و كتابات للتيفيناغ، اما المنطقة الثانية و المتمثلة في موقع الطاسيلي ناجر بولاية اليزي و هي عبارة عن هضبة من الانهار في سلسلة جبلية ترتفع بأكثر من 2000م عن سطح البحر، يعود تاريخ هذا الموقع حوالي 6000 الف ومليون سنة، بها اكبر و اجمل محطات للفن الصخري و التي تضم لأكثر من 4 الاف شكل تم جردها عبر مسافة تقدر بـ 30 كلم2 ، صنف ضمن التراث العالمي من طرف منظمة اليونسكو سنة 1982م باعتباره اجمل و من اروع المواقع العالمية من حيث الطبيعية الجيولوجية و مشاهد للنقوش و الرسوم الصخرية بالنسبة لشعوب الصحراء فإن الظروف الطبيعية كانت مساعدة جدا على التبادل الحضاري، فالأنهار كانت تخترق الصحراء الكبرى رابطة بن مناطق الصحراء الشمالية و الجنوبية والوسطى.

3-1 نقوش ورسومات الإنسان: ونظرا للترابط بين الصيد والانسان، هناك نموذج لمغارة سميت بالرجل الكبير بموقع صفار بالطاسيلي ناجر يؤرخ بحوالي 5500 ق.م، وهو شخص غريب الملامح يحمل سمكة بيده اليسرى (Soleilhavoupe، 2007، صفحة 93) اما في المشاهد الصخرية فإن اللون الأبيض يعبر عن الموت، وكذلك تعبر عن الموت المشاهد التي تمثل شخصيات سباحة في منطقة اونرحات ففي المشهد الذي سماه هنري لوت باسم "السباحة ذات الصدر على الظهر (Lhote, 1958, pp. 88-120)

3-2 نقوش ورسومات القوارب: عثر بمنطقة الصحراء الوسطى وخاصة منطقة الطاسيلي ناجر على اعداد لا بأس منها من رسومات ونقوش لقوارب ، وتقول في هذا الاطار الباحثة ماريان كورنوف cornovin: أن الشروط كانت مناسبة لحياة مزدهرة في الصحراء الرطبة ، وفي المقابل فإن طرق الاتصال كانت موجودة فعلا فالمجاري المائية والبحيرات الكبيرة كانت تسهل ذلك ، فقد كانت تلك الفترة أحسن فترات الاتصالات بين مختلف المناطق من وإلى الصحراء، ومن الممكن أن الاتصالات كانت تتم عن طريق الأنهار بالقوارب من الأطلس الصحراوي وحتى الهوقار ومن الساحل الليبي حتى فزان والتاسيلي ناجر والكاكوس والتبستي، فقد كان السكان القدامى في الصحراء بحارة جيدين كما تدل على ذلك نقوش ورسوم القوارب (وابل ا، 2019، صفحة 44) كما اكتشف الباحث H.Lhote مشهد لقارب مرسوما بموقع Rhadés ، ورسم آخر لقارب بموقع Tamrit بمنطقة الطاسيلي ناجر ذو شكل انسيابي، تنتهي نهايته بشكل حيوان الزرافة، كما يحتوي القارب على مجموعة من الصيادين في حالة صيد كذلك عثر على قارب مرسوم بموقع Jabbaren له نفس اوصاف القوارب المصرية، القارب ذو شكل انسيابي وينتهي بحواف على شكل حيوان الزرافة وفي الأسفل اغصان نباتية، مع وجود صيادين، وهذا ما يؤكد حرفة الصيد وممارسة الصيد النهري حيث استنتج ان هذا القارب يشبه الى حد كبير القوارب المصرية المرسومة على الفخار الجنائزي سنة 5000 ق.م (Lhote H. , Op.Cit., p. 75)، وبوجود علاقة حضارية ثقافية بينهما. كما عثر على مشهد آخر بموقع Tintazarift لقارب بشكل انسيابي ويركبه شخصين يحملان سلاح وهو ما في حالة

هجوم. كذلك لدينا مشهد آخر، وجد بموقع Tamajert يصف عملية صيد على مربيّن قارب، حيث يحمل صاحبه خطافا (Harpon) (وابل ا.، 2019، صفحة 44)، مشهد اخر بموقع N'Aouanrhat عن عملية صيد لفرس النهر باستعمال الحبل (وابل ا.، 2019، صفحة 44)، لكن تبقى فرضية الصيد متواجدة مع وجود حيوانات في مقدمة القوارب لها مدلول سحري عقائدي ديني (Lhote H, 1966,, p. 10).

3-3 نقوش ورسومات الحيوانات البحرية

3-3-1 السمكة: كما ذكر الباحث-Lequellec.j (Lequellec, 1998,, p. P 112) من خلال دراسته للفن الصخري بالصحراء الوسطى ان المنطقة تتوفر على 11 نقشا ورسمًا للسمكة أقدمها وجد محطة بواد إفير على روافد واد جرات، واعتقد الباحث انها تعود لنوع السمك المسمى تيلابيا ونقوش لطير البجع، ولقد ارخت رسومات الأسماك الى 6000 ق.م (Lhote H. , Op. Cit,, p. p150) كما عثر على مشاهد اخرى منقوشة في منطقة اسالي إن تار كفتين على ضفاف وادي تني تار ابين بو علي واد تان تار بمنطقة الهقار يبلغ طوله حوالي 30 سم ويؤرخ بحوالي 6000 ق.م تقريبا

وبعض أنواع الاسماك، والتي مثلت في رسومات منطقة الهقار وبالضبط على ضفة وادي تن تارات وهي من نوع السيلور طولها حوالي 15 سم و تؤرخ بحوالي 4000 سنة ق.م (مرحلة الرعاة) ، واسماك مرسومة في موقع تين بوجاج بمنطقة إدو تيسوكاي بالطاسيلي ناجر ، وفي واد احلوم عثر على رسم لسمكة من نوع تيلابيا نيلوتيتيكا ب 4000 ق.م تؤرخ وكذلك وجد نفس الباحث بمنطقة تهاويلي بالطاسيلي ناجر صورة لسمكة كبيرة تؤرخ بحوالي 5500 ق.م ، وكذلك نجد بمنطقة جباران بالطاسيلي ناجر مجموعة اشخاص وعلى مقدمتهم صورة السمكة، و مشهد اخر لموقع تيسوكاي صورة امرأة وفي أسفلها صورة لسمكة مع أشياء رمزية تؤرخ حوالي 5000 ق.م ، وكذا بعض بقايا الأسماك في الكهوف و المغارات في الطاسيلي ناجر، تمنازست . اذن تعتبر رسومات الأسماك في منطقة الصحراء الوسطى دليلا واضحا على وجود الماء من خلال رسمها على جدران الصخور والملاجئ وكذا البقايا السمكية بالقرب منها في الكهوف (Porestier, 1977, p. p 178).

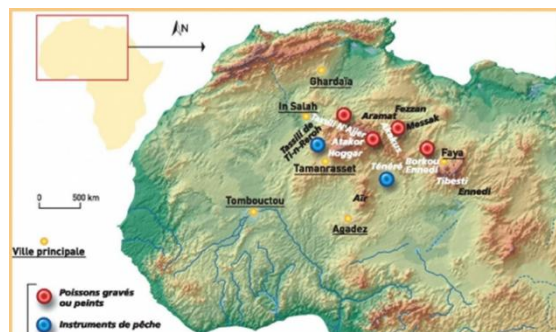
3-3-1 العقرب: هناك نوعين منها العقرب العملاق والعقرب الصغير وهي عبارة عن يرقة تنتهي بإبرة مثل العقرب، ويمكن أن تكون حيوان بدائي برمائي له ذيل طويل يشبه وسيلة للتنفس خارج الماء وهي من أغرب رسومات الأطلس (Lhote H, 1970, p. p 50) إلى جانبها نجد رسم لشكل غير معروف يفصل بين فيلين بشكل عمودي، وهو رمز للبرق يشير إلى الاستسقاء ومحاولة إنزال المطر.

3-3-3 الحلزون: الحلزون من خلال الحلقات الدائرية والذي يوضح التأثيرات الفرعونية على شكل دوائر متداخلة مع بعضها

3-3-4 الكركدان: من بين الحيوانات القليلة في رسومات المنطقة حيث ندرته تعكس ظروف محيطه المتمثل في قلة البرك والبحيرات ونجده بأسلوب الطبعي والطبيعي التصويري (تازينة) في موقع الكريمة وموقع خلوة سيد الشيخ بالببيض 3.2.5 فرس النهر: عثر عليه مزين على جسمه بأشكال على وكذل الرسوم والنقوش الصخرية، أيضا بعض الحيوانات البحرية كالتمساح، مما يدل انه كان مناخا رطباً لعيش بعض البحريات وانتشار بعض الأنهار، البحريات والبرك، ليدخل فيما بعد الى مرحلة الجفاف التدريجي ابتداء من الالف السابع قبل الميلاد، مما س يؤدي الى انقراض بعض أصناف الحيوانات، وظهور حيوانات أخرى فكان الجمل اخر حيوان واجه به الانسان قساوة التصحر

3-4 حرفة الصيد والأدوات: اثبت الرسوم الصخرية على احتمالية وجود حرفة الصيد من خلال الصيادين والأدوات من قوارب وأدوات الصيد من خلال التنقيبات الاثرية بمواقع الدراسة كالباحث هنري لوت (Lhote H. , 1950,, p. 166) ين عثر على خطاف مسنن من جهة واحدة بطول 2.5 سم مع ثلاث صنارات ن واكتشافات أخرى لأدوات كثلث خطاطيف

1969, p. 179)



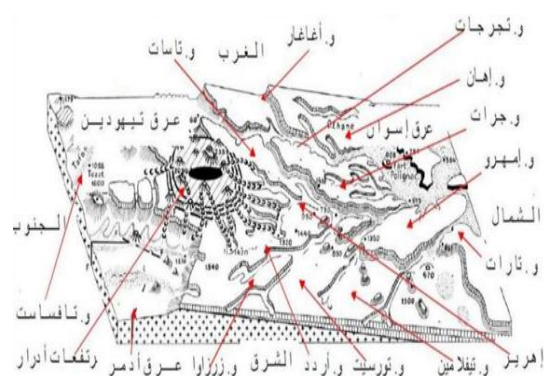
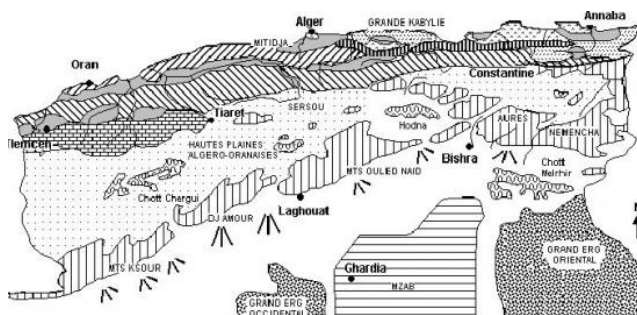
François Soleilhavoup naturaliste, spécialiste de l'art rupestre saharien fig 15: المصدر

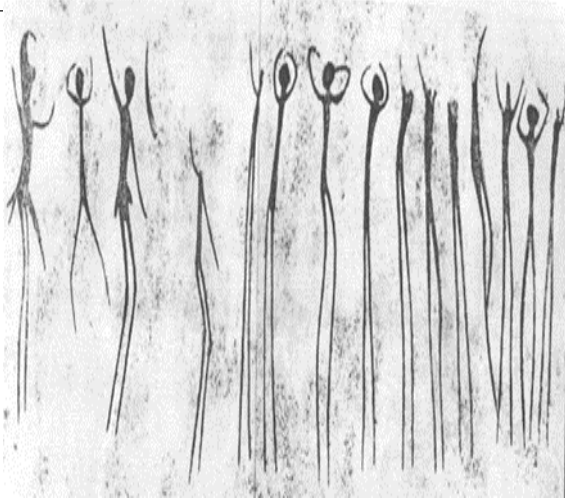


المصدر: (<http://nogomi.ru>)، أكتوبر 2022

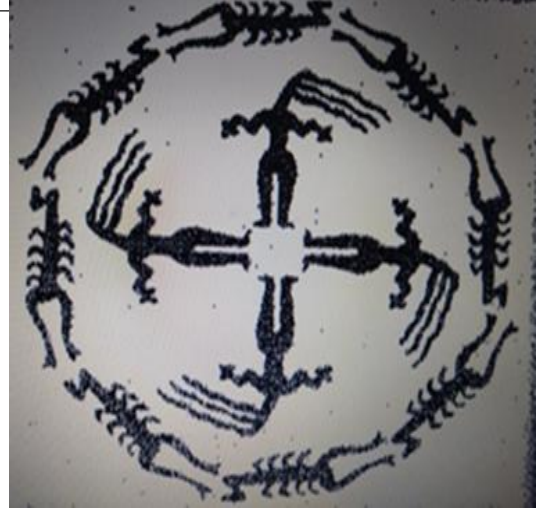


المصدر: 2022: wikipedia.Org ar.m:

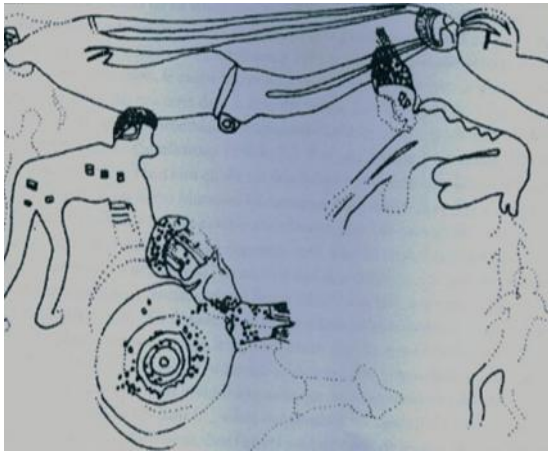




الشكل رقم 07: رقص طقوسي من أجل استجلاب المطر في جبارين
المصدر Lhote H,(1958)op.cit. p80,fig26



الشكل رقم 06: مندلا وسواستيكا الرقصات الأربع بالطاسيلي
ناجر المصدر: غزعل الماجد، المرجع السابق، ص 105



الشكل رقم 09: الهة اونرحات السابحة
المصدر Lhote H,(1958)op.cit p88,fig36



الشكل رقم 08: الصيد السمك
المصدر Lhote H, (1958) op.cit. p80,fig26

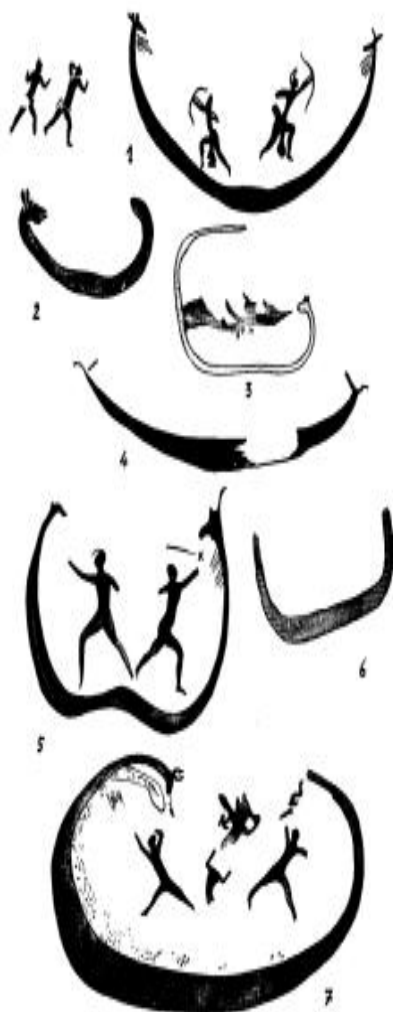
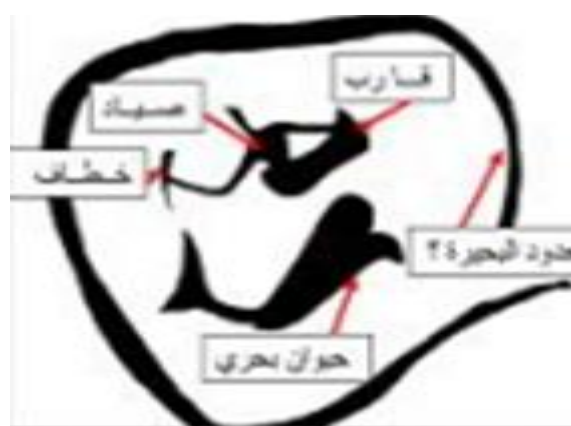
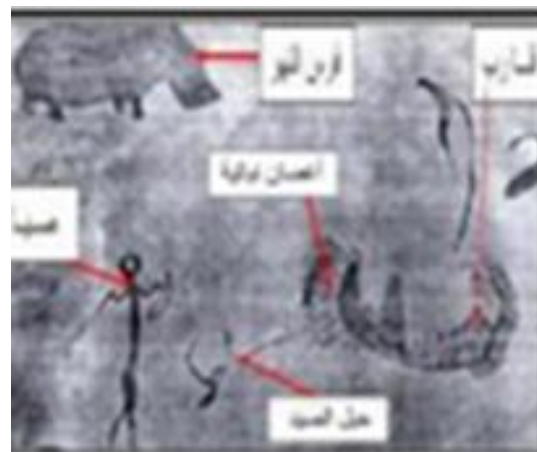
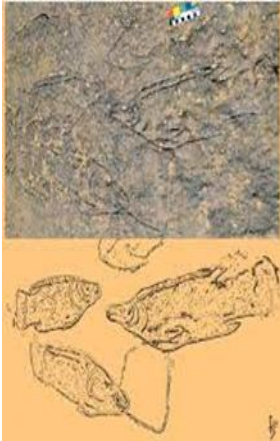


FIG. 2. — 1. Tia-Yaciff. 2. Tia-Yaciff. 3. Tia-Yaciff. 4. Ouen Beyde. 5. Jabbou. 6. Jabbou. 7. Tia-Yaciff.





الشكل رقم 15: Cichlidés sur grès. Oued Djerat, Tassili-n-Ajjer, Algérie.

المصدر © Relevé F. Soleilhavoup
d'après photos G. et S. Lachaud



الشكل رقم 14: Gravures de trois poissons en file sur une paroi verticale.

Tassili, Site de Ti-n-Merzouga Algérie.sud-oriental
المصدر Relevé F. Soleilhavoup
d'après photo G. Landié



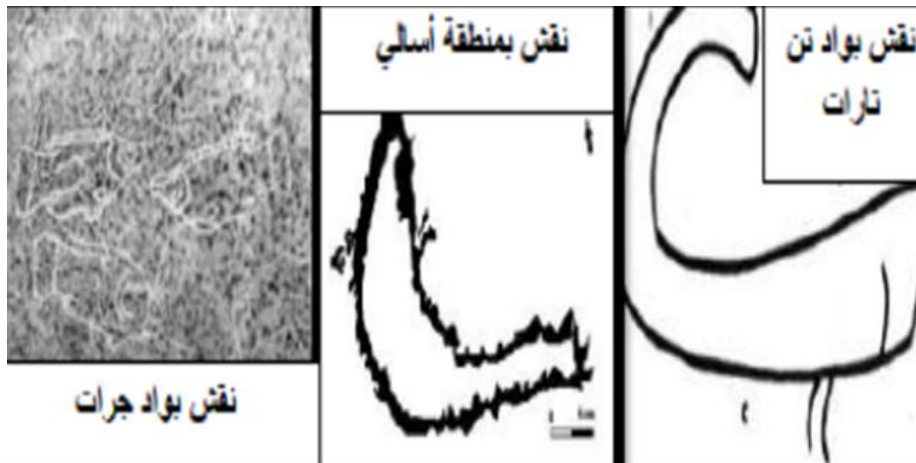
الشكل رقم 13: Cinq poissons peints à l'ocre rouge (silure et Perciformes). Tassili d'Ifédaniouene (nord-ouest de Djanet, Algérie), 2 000 ans av. J.-C.

المصدر © Relevé F. Soleilhavoup, d'après photo originale de D. Lionnet.
photo © Ennedi.fr.

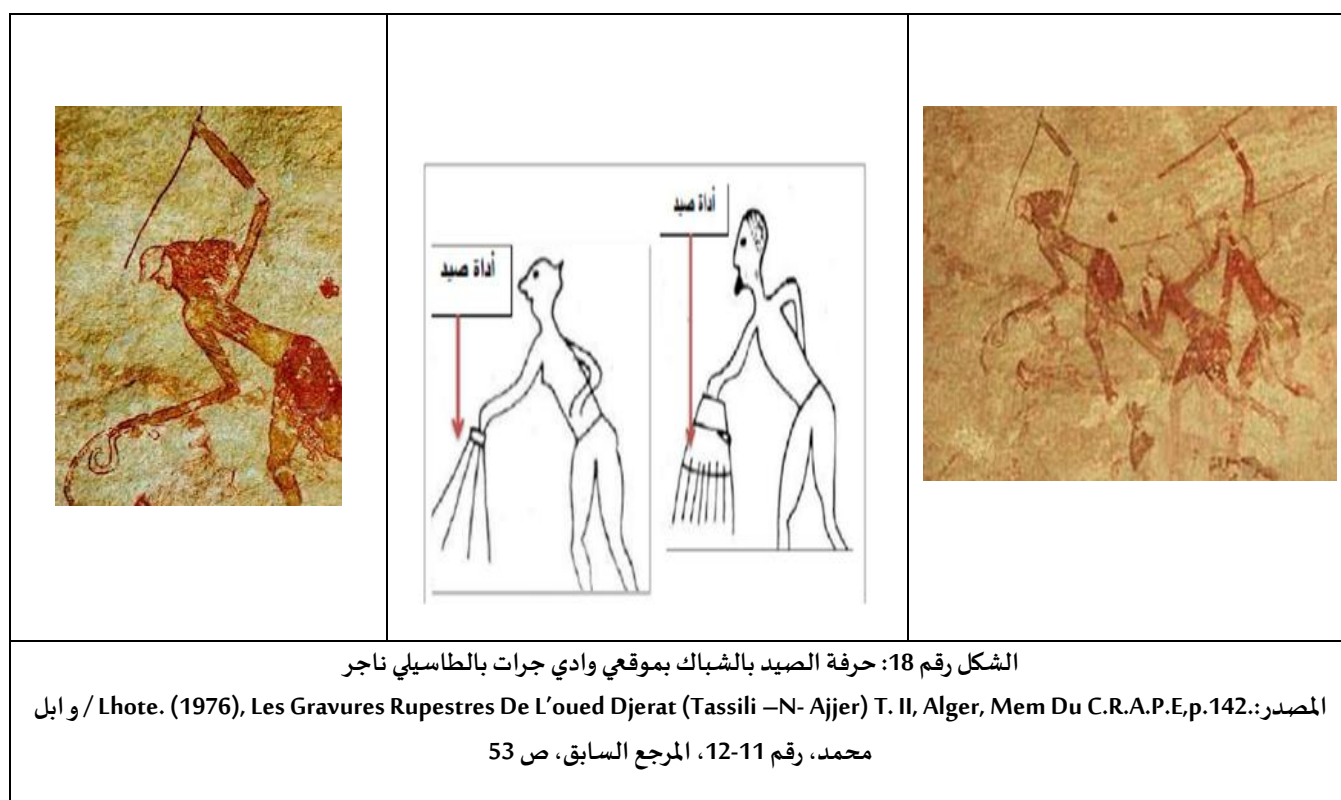
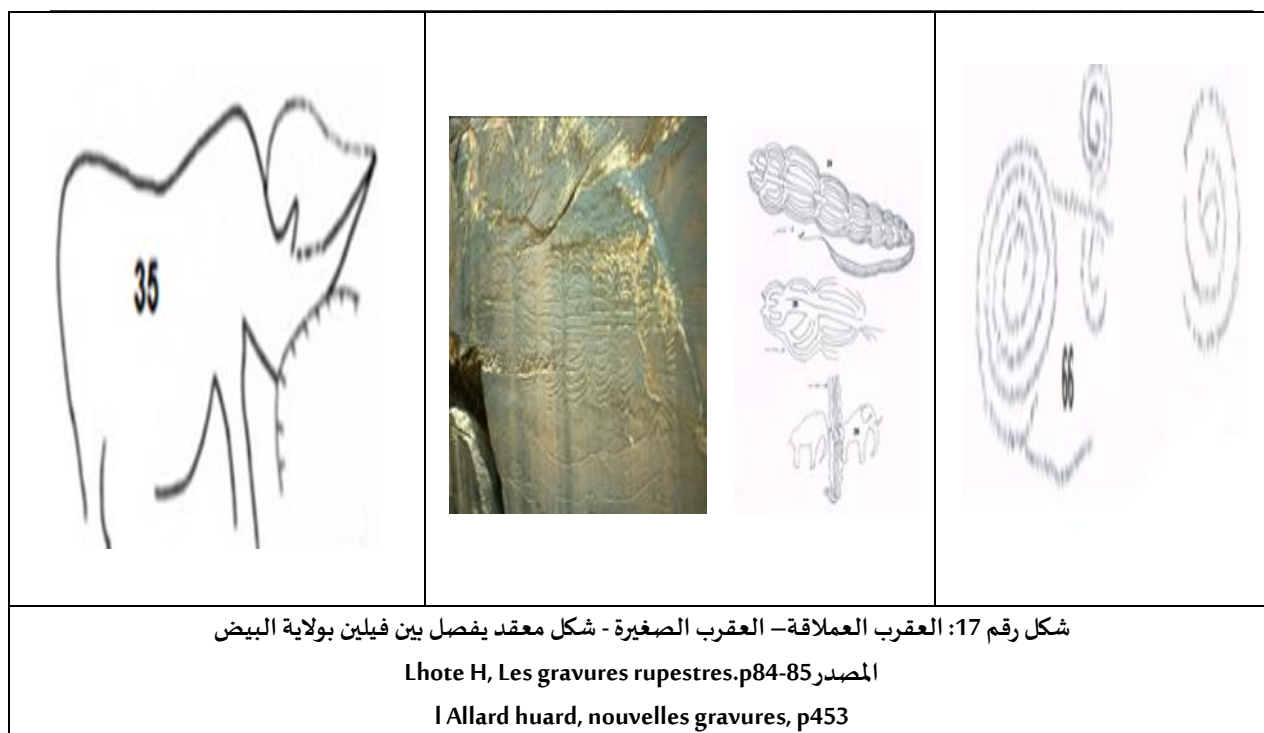


الشكل رقم 12: Poisson-chat sur grès.

Tassili-n-Oued Djerat Algérie.,Ajjer
المصدر © Relevé F. Soleilhavoup, d'après photos G. et S. Lachaud.



شكل رقم 16: نقش للأسماك بؤاد جرات المصدر: وابل محمد، رقم 11-12، المرجع السابق، ص 52



خاتمة:

منذ أقدم العصور القديمة كان للبحر أهمية خاصة في إنشاء مدن ومحطات واستقرار لتجمعات سكنية، فالبحر شكل لدى المجتمعات أحاسيس ومخاوف متناقضة من فترة إلى أخرى وارتبطت بحياتهم العامة وبيئتهم التي كانوا يعيشون فيها، وتم استغلاله في الجانب العقائدي والدين، وتعتبر النقوش الصخرية من اهم المصادر التي امدتنا بعدة جوانب خاص بالإنسان خاصة في طقوس التعبد من خلال الكائنات والحيوانات البحرية كالدلفين الحلزون ، و فرس البحر والسمك كرمز للماء، والأصداف والمحار والحلزونات والمغرة في طقوس سحرية وتعويزات وحامية لحاملها من الشر والخطر، وقوارب وأسماك توجي برحلة الأرواح إلى العالم الآخر، اين وجدت هاته النقوش الصحراء الوسطى و الاطلس الصحراوي خلال العصر الحجري الحديث دليل على وجود الماء بكميات كبيرة حيث ساهم في استقرار الإنسان بالصحراء وتعاملوا احسن مع وسطه البيئي، ووجود لثقافة و حرفة الصيد المائي و النهري من اجل المنفعة الاقتصادية وحتى التجارية. من جهة ومن جهة أخرى بطرق أبواب عالم البحر وأسراره لدى الشعوب النيلوليتية.

6- توثيق المراجع:

- ابن الشيخ حكيم، 2013، محاضرات ونصوص فيما قبل التاريخ، دار هومة، الجزائر.
- الجوهري يسرى 1968، الجغرافية التاريخية عصر ما قبل التاريخ وفجره، مكتبة انجلو المصرية، القاهرة،
- الماجد غزل، 1997، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط1، دار الشروق عمان.
- بشي ابراهيم العيد، 2008، تاسيلي ناجر الأزمنة الجيولوجية والمؤشرات الحضارية والعوامل الطبيعية المكونة للمنطقة، ط1، منشورات الحبر، الجزائر
- بن بوزيد لخضر (بدون سنة نشر)، الطاسيلي اجر فيما قبل التاريخ، المعتقدات والفن فيما قبل التاريخ.
- جنان عبد الحميد، كحول بسمه، 2015، ((الحضائر الثقافية كألية للحفاظ على التراث الصحراوي في إطار التنمية المستدامة-حظيرتي الاهقار والطاسيلي نموذجاً))، مجلة منبر التراث الاثري، العدد4، ص 195-209
- حليمي عبد القادر علي، 1968، جغرافية الجزائر (طبيعية-بشرية-اقتصادية)، ط 2، الجزائر، ص 43.
- سحنوني محمد، 1990، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
- صالح عبد الصادق، 1990، الفن الصخري في شمال أفريقيا، دو مج، بن عكنون الجزائر،
- غانم محمد الصغير، 2003، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2003،
- محمد عبد المؤمن، 2011-2012 عقائد ما بعد الموت ببلاد المغرب القديم، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة احمد بن بلة، وهران.
- وابل امحمد، خاتمي مصطفى، 2020، ((واقعية قارب السمكة في الفن الصخري (منطقة الصحراء الوسطى – الجزائر)، من الالفية السادسة قبل الميلاد الى غاية الالفية الثانية قبل الميلاد))، مجلة منبر التراث الاثري، العدد 09، 2020، ص 39-56

agriculture.Blog

ar.m : wikipedia.Org 2022

Camps(G), 1969Amekni. Néolithique Ancien Du Hoggar, Crape, Paris.

Despoir J et Raynal R, 2003, geographie de L'Afrique de Nord-Ouest, Paris.

Despoir J, 1964, L'Afrique du Nord.

Fantar (M.H.), 1970 Eschatologie Phénicienne-Punique, I.N.A.A., Tunisie

Hachid, M, 1998, Tassili –N-Ajjer à la source de l'histoire il y a 50 siècles avant les pyramids. Edition paris –méditerranée, France.

Lequelllec (J-L) , 1998 Art Rupestre Et Préhistoire Du Sahara, Centre National De Livre, Editions Payot Et Rivage, Paris

Lhote H, 1970, Les gravures rupestres du sud oranais ; Mém du CRAP XVI

Lhote (H), 1950, Le Gisement Néolithique D'in-Guezzam (Sahara Central) Bulletin De La Société Préhistorique Française, T. 47, N. 3-4, pp165-171.

Lhote H, 1966, Les Peintures Pariétales D'époque Bovidienne Du Tassili. Eléments Sur La Magie Et La Religion. Journal De La Société des Africanistes, Tome 36 Fascicule 1. pp. 7-28.

Lhote H. 1976, Les Gravures Rupestres De L'oued Djerat (Tassili –N- Ajjer) T. II, Alger, Mem Du C.R.A.P.E :

اكتوبر 2022: <http://nogomi.ru>

Porestier (H), 1977, Gravures Ruptures De L'a Haggar Région 'In Eker, Libyca, (A.P.E), T

Soleilhavoupe (F), 2007, L'art Mystérieux Des Tetes Rondes Au Sahara, Edition Faton